

توم سيغف*

”أريدكم أن يرحلوا جميعاً، ولو إلى القمر”

حرب حزيران/يونيو 1967

وموقف إسرائيل من مشكلة اللاجئين**

تركز هذه المقالة، وهي مقتطفة من أحد فصول كتاب جديد عن حرب 1967، على النقاشات التي جرت في إسرائيل، وخصوصاً داخل الحكومة، بشأن مصير اللاجئين الفلسطينيين (ولا سيما في غزة) الذين خضعوا للسيطرة الإسرائيلية في أعقاب الحرب. وتعرض انهماك الحكومة والجيش الإسرائيليين، بما في ذلك مكتب رئيس الحكومة، في وضع الخطط لدفع الفلسطينيين إلى الهجرة من غزة.

لا يزال الأمل بنقل عرب فلسطين إلى خارج البلد قائماً منذ بداية الحركة الصهيونية. ففي أثناء الانتداب البريطاني نظر القادة الصهيونيون في طرق عديدة لدفع الأموال لهم في مقابل الانتقال إلى أماكن بعيدة. (1) ولا شك في أن هروب مئات الآلاف من العرب وطردهم خلال حرب 1948 وما بعدها – “إخلاء بالجملة” وصفه موشيه شاريت بأنه “أروع من إنشاء الدولة اليهودية” – (2) قطعاً شوطاً نحو تحقيق هذا الأمل. لكن كان هناك اعتبارات دبلوماسية. ففي سنة 1949، عرضت إسرائيل السماح بعودة 100.000 لاجئ كجزء من تسوية سلمية، لكن الخطة فشلت وتخلت إسرائيل عن العرض. وطلبت الأمم المتحدة من إسرائيل أن تمنح اللاجئين خيار العودة إلى بيوتهم أو الحصول على تعويض، لكن دافيد بن - غوريون اعترض على ذلك. وقال في سنة 1961: “سيرغب الجميع في العودة إلى بيوتهم وسيدمروننا.” كان ذلك هو الخوف الذي أملى الموقف الإسرائيلي حتى حرب الأيام الستة. وقد بلغ رئيس الحكومة، ليفي إشكول، جون بول سارتر عشية الحرب: “ليس لدينا شيء نعطيه ولا شيء نتنازل عنه.” (3) وفي الوقت نفسه، أصرت إسرائيل على أن الأمم المتحدة تضخم عدد اللاجئين لتوسيع ميزانياتها ونشاطاتها، في حين تمنع الدول العربية الفلسطينيين من الاستقرار وتطيل معاناتهم كي تزجج إسرائيل. (4) وقد شغلت الجهود لنقل هذه الرسائل وزارة الخارجية أعواماً عديدة.

في غضون ذلك، لم يضع رحيل العرب الجماعي في سنة 1948 حداً لخطط إعادة توطين من بقي منهم، في بلد آخر. وقامت إسرائيل بعدة محاولات لتشجيع العرب الإسرائيليين على الهجرة إلى أميركا اللاتينية وسواها. (5) وعندما احتل قطاع غزة في أثناء حملة سيناء خصص إشكول، وكان وزيراً للمالية في ذلك الوقت، نصف مليون دولار لتمويل هجرة مئتي عائلة من اللاجئين الفلسطينيين من غزة، بالإضافة إلى عدد من العرب الإسرائيليين، ومعظمهم من المسيحيين الميسوريين. وقد نسق هذا المشروع عزرا دانيان، وهو من العملاء السريين الصهيونيين الأوائل. (6) في سنة 1962، جاء دانيان نفسه بفكرة تعرف باسم عملية العامل (Operation Worker). وكانت الغاية منها تشجيع اللاجئين الفلسطينيين على الهجرة إلى ألمانيا الغربية، حيث كان هناك طلب جديد على العمالة الأجنبية. وقبل ثمانية عشر شهراً تقريباً من حرب الأيام الستة، حاولت إسرائيل تنسيق اتفاق بين ألمانيا والأردن يشجع اللاجئين الفلسطينيين، من خلال نقابات العمال الألمانية، على الهجرة من الأردن. وأعلنت روث وولف، المسؤولة في وزارة الخارجية الإسرائيلية والضالعة في هذا المشروع: “ربما من الضروري التلميح إلى الألمان بأنهم يتحملون ذنباً خاصاً في إنشاء إسرائيل بسبب المحرقة (الهولوكوست). هنا لديهم فرصة لإعادة توطين لاجئين نتجت مشكلتهم من إقامة دولة إسرائيل.” (7)

عودة مشكلة اللاجئين

لم تواجه إسرائيل مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ثانية إلا بعد حرب الأيام الستة. وكان بن - غوريون شعر بأن الحال سيكون كذلك، إذ دون قبل أربعة أيام من الحرب في يومياته بعض الأرقام نقلاً عن مقالة صحافية عمرها تسعة عشر عاماً تزعم أن العدد المقدر للاجئين الفلسطينيين مبالغ فيه جداً، وأن التمهيص الدقيق لن يظهر أكثر

من 300.000 لاجئ. ومن الواضح أن بن - غوريون كان يعتقد أن عليه التمسك بهذه المعلومات، مع أنه كان بالتأكيد يعرف أن الرقم الحقيقي يبلغ ضعف ذلك.(8)

لم يكن الإسرائيليون يعرفون، في معظمهم، الكثير عن محنة اللاجئين. بعضهم رأهم بعد احتلال قطاع غزة في حملة سيناء، لكن الحديث عن هذه المشكلة لم يكن كثيراً في العقد الثالث. إنما بعد أن دخلت إسرائيل الأراضي [الفلسطينية] في حرب الأيام الستة، ذهل كثيرون مما شاهدوه، وأدركوا وجوب التوصل بسرعة إلى حل.(9) وبعد مرور أسبوع على الحرب، كتب عاموس إيلون في صحيفة "هآرتس": "علينا واجب أخلاقي لأن الطريق إلى استقلال إسرائيل مهد على حساب هؤلاء الأشخاص، وقد دفعوا بأرواحهم وأملاكهم ومستقبلهم ثمن المذابح في أوكرانيا وغرف الغاز النازية.(10) كانت تلك كلمات استثنائية؛ فقد كانت النظرة المقبولة حتى ذلك الوقت أن إسرائيل لم تطرد اللاجئين، وأنها حثتهم في العديد من الحالات على البقاء، لذا فإنها غير مسؤولة عن مصيرهم. وتابع بن - غوريون نفسه تعزيز هذا الخط قائلًا، في كانون الأول/ديسمبر 1967، إن كل اللاجئين في سنة 1948 "غادروا في أعقاب تحريض قادتهم في حقبة الانتداب البريطاني لا بعد إنشاء إسرائيل.(11) لم يكن ذلك صحيحاً؛ فقد طرد معظم سكان اللد والرملة قبل شهرين من إعلان الاستقلال.(12) ورُحِّل مزيد من اللاجئين بعد ذلك عن الجليل ومنطقة عسقلان، وسواهما. وثبت لاحقاً أن نصف اللاجئين تقريباً غادر بيوتهم وهرب خوفاً من الحرب، وأن نصفهم الآخر رُحِّل قسراً.(13)

في أعقاب الحرب، طالب بعض المسؤولين الحكوميين بإيجاد حل فوري لمشكلة اللاجئين عن طريق عملية سريعة وشاملة ومن طرف واحد، بغض النظر عما يحدث في الأراضي [المحتلة]. وكتب أحدهم: "يمكننا أن نبدأ العمل على الفور، ملاحظاً أن مثل هذه الخطوة يعزز "الحق الأخلاقي" لإسرائيل في الاحتفاظ بالضفة الغربية. وكتب سفير إسرائيل في كندا، غيرشون أفنير، من أوتاوا متسائلاً: لماذا لا تنشئ الحكومة مصنعاً واحداً للاجئين على الأقل، وتقدم لهم سكناً محتمل التكاليف على مقربة منه. وشدد على القيمة الدعائية لمثل هذه الخطوة، واقترح تخصيص الأموال من الميزانية الدعائية لوزارة الخارجية. واقترح مسؤول حكومي رفيع المستوى إقامة مستوطنتين زراعتين على الفور. وأرسل أفراهام هارمن، سفير إسرائيل في الولايات المتحدة، إلى القدس اقتراحات مماثلة من منظمات يهودية وغير يهودية.(14) وعرض العديد من الشخصيات العامة اليهودية والمنظمات الدولية جمع الأموال لغوث اللاجئين، وبينهم اللورد روتشيلد والبنك الدولي. وأعطى إشكول يعقوب هيرتسوغ، المدير العام لمكتب رئيس الحكومة، تعليمات للتنسيق بين مختلف الأطراف. وقدم السفير الإسرائيلي في واشنطن تقريراً إلى رئيس الحكومة فحواه أن الولايات المتحدة تنتظر من إسرائيل أن تطلق برنامجاً لإعادة توطين اللاجئين. وحاول إقناع إشكول بالموافقة؛ لكن هذا رد قائلًا: "لم لا نسمع منك ذات مرة شيئاً عن اللاجئين اليهود بدلاً من اللاجئين العرب؟"(15) فعلى غرار معظم الإسرائيليين، وجد إشكول أن من الصعب الإقرار بأن إسرائيل تتحمل حتى مسؤولية جزئية عن التسبب بمشكلة اللاجئين. لقد كان ثمة حاجة وجودية عميقة الجذور إلى الاعتقاد أن الصهيونية لم تتسبب بالظلم.

التقلب والتردد

كان التقلب والتردد بشأن مستقبل البلد يلازمان رئيس الحكومة إشكول. ولم يكن لديه أي فكرة عما يجب عمله، أو أحد يستشيريه. كان يريد التخلص من اللاجئين لكن لا يعرف كيف، بل إنه لم يكن يفكر في مئات الآلاف من "اللاجئين الجدد" وإنما في لاجئي 1948 الذين لا يزالون يعيشون في المخيمات، ولا سيما في غزة. ولم ينجم إجماع عن مناقشات جرت بشأن مشكلة اللاجئين في اجتماع حكومي عقد بعد بضعة أيام من الحرب. فقد كان لدى كل وزير حل خاص به. فوزير الداخلية، حاييم موشيه شابيرا، اقترح خطة مدهشة تستقبل إسرائيل بموجبها 200.000 لاجئ. ومع أنه قدر أن ذلك سيرفع عدد العرب الإسرائيليين إلى أكثر من نصف مليون نسمة، أي إلى نحو 20% من مجموع السكان، فقد رأى أن في وسع الحكومة المحافظة على الأغلبية اليهودية بتشجيع الهجرة، و"عمل شيء" بشأن معدل المواليد، والحرص على تقليص الوفيات الناتجة من حوادث الطرق. واقترح وزير العمل، يغال ألون، توطين لاجئي غزة في العريش، شمال سيناء، وفي الضفة الغربية. ودعم الوزير بلا حقيبة، مناحم بيغن، فكرة الاستيطان في العريش، لكنه رأى وجوب إعادة تأهيل اللاجئين لأن وضعهم يمثل مشكلة أخلاقية وإنسانية كبيرة. واقترح وزير التنمية، مردخاي بنطوف، نقلهم من غزة إلى الضفة الغربية (تكلم إشكول أيضاً مستحسناً هذا الحل)، ملاحظاً أن من الأفضل إعادة توطين لاجئي غزة في الضفة الغربية بدلاً من إقامة

مستوطنات يهودية جديدة في الضفة الغربية. وبعد أن أعلن وزير الشرطة، موشيه ساسون، أن اللاجئين هم "لب النزاع"، اقترح إقامة دولة مستقلة للفلسطينيين، أو منحهم منطقة ذات حكم ذاتي. وأصر وزير الدفاع، موشيه دايان، على الرؤية المعاكسة: الأونروا تقوم بالتعامل مع اللاجئين، وما من سبب يدعو إلى إعفائها من تلك المهمة. على نحو معاكس، رأى وزير الصناعة والتجارة، زئيف شيرف، أن على إسرائيل بدء مفاوضات هادئة مع الدول الأجنبية بغية توطين اللاجئين "فيما وراء البحار". وكان ذلك أيضاً أمل وزير المالية، بنحاس سابير، الذي وصف وضع اللاجئين بأنه متفجر. وكان إشكول يحذّر الحل في الخارج أيضاً فقال، كما ادعت إسرائيل في الغالب: "لقد حدث تبادل للسكان. حصلنا على سكان من العراق. حصلنا على مئة ألف يهودي، وسيحصلون على مئة ألف عربي. إنهم يتحدثون اللغة نفسها، ولديهم مستوى المعيشة نفسه، وهناك ماء وأرض." (16) واعترف إشكول بأن العراقيين قد لا يقبلون الخطة، لكنه كان يعتقد أن الفكرة هي "العدل بعينه". وعندما اعترض الوزير شابييرا قائلاً: "ما من سبب يدعو إلى اقتلاع العرب المولودين هنا ونقلهم إلى العراق"، تدخل بيغن: "في اليونان نقلوا الأتراك المولودين هناك وكان ذلك جزءاً من اتفاق." فوافق إشكول على الفور، مضيفاً أنه شهد بنفسه إعادة التوطين. وقع ذلك قبل نحو أربعة عقود، في سنة 1926، عندما سافر إشكول (كان اسمه شكولنيك في ذلك الوقت) إلى اليونان للاطلاع على إعادة توطين 600.000 يوناني من آسيا الصغرى. وكتب في ذلك الوقت أنه "مشروع هائل ومثير للاهتمام"، وقد يكون مفيداً في إطار الاستيطان اليهودي في فلسطين. (17) ووفقاً لإشكول، لا يسع المرء أن يدعو مثل هذا النقل للسكان ظالماً، والأمر نفسه ينطبق على "اللاجئين الجدد" المقيمين بالأردن: "كانوا يعيشون هنا أولاً، واليوم يعيشون في الأردن." وبعد بضعة أسابيع، اقترح ألون أيضاً "تشجيع" اللاجئين على الهجرة، لكنه حذر زملاءه قائلاً: "إنني لا أقترح أن نتبنى علناً حل هجرة العرب، لأنه يبدو أمراً غير مستساغ، وخصوصاً لليهود والصهيونيين." أرجع كل شيء إلى أسس الأيديولوجيا الصهيونية. فقال إشكول: "إننا لم نأت إلى هنا كحركة سرية. لقد أعلننا أن فلسطين حق لنا." فاعترض وزير الصحة برزيلي: "لكنهم مقيمون بفلسطين." تمسك رئيس الحكومة بموقفه: "كل يهود العالم كانوا في إسرائيل واقتلعوا وطردوا، ووجدوا حبل نجاة في أماكن أخرى." حاول بعض الوزراء مناقشة ذلك لكن إشكول أسكتهم. (18)

نص الاقتراح المقدم إلى الحكومة على أن إسرائيل "ستطالب" الدول العربية بأخذ اللاجئين. لكن من أجل ضمان الإجماع، اتُفق في النهاية على نص أكثر عمومية: "إن إقامة السلام في الشرق الأوسط، والتعاون الذي سينتج من ذلك، سيفتحان الباب أمام تسوية دولية وإقليمية لحل مشكلة اللاجئين." (19)

"وهم شديد الخطورة"

بعد ظهر يوم 30 تشرين الثاني/نوفمبر، دعا إشكول يوسف فايتس إلى اجتماع في مكتب رئيس الحكومة. في ذلك الوقت، كان على مكتبه أكواس من الخطط والاقتراحات لحل مشكلة اللاجئين، (20) لكن فايتس كان ملائماً تماماً لتقديم المشورة إذ كان مدير دائرة الاستيطان في الصندوق القومي اليهودي، وداعية ناشطاً لمخططات نقل السكان منذ أواسط الثلاثينيات. أشار إشكول أمام فايتس إلى خريطة كبيرة معلقة على الجدار وسأل: "أين يجب أن يكون حد الضفة الغربية الجديد؟" كان من المقرر أن يصل أحد المفاوضين المعينين من جانب الأمم المتحدة عما قريب، وعليهم أن يقرروا ما سيبأغونه. قبل ذلك ببضعة أسابيع، كان فايتس نشر مقالة في صحيفة "دافار" اقترح فيها حل مشكلة اللاجئين بـ "نقلهم" من قطاع غزة إلى الضفة الغربية. واقترح إعادة الضفة الغربية إلى الأردن، مع بعض التعديلات في الحدود. سأل إشكول: "كيف نفعل ذلك؟" فوعد فايتس بوضع الخطط، وأصدر رئيس الحكومة تعليمات بأن تُرسل إليه خرائط ملائمة. وقد تعزز اقتراح فايتس بتوطين اللاجئين في الضفة الغربية بخطة تلقاها إشكول من مجموعة صغيرة من الأكاديميين يرئسها عالم الاقتصاد مايكل برونو، وهي تنص على توطين نحو 250.000 من اللاجئين إلى غزة في الضفة الغربية على مدى عشرة أعوام، بتكلفة سنوية تقدر بما لا يزيد على 200 مليون ليرة، أو 50 مليون دولار، على أن يشمل ذلك الإسكان واستحداث الأعمال وإنشاء الطرق والمدارس والمستشفيات. (21)

في 6 كانون الأول/ديسمبر، أجرى إشكول مشاورات مطولة مع الأستاذين روبرتو باتشي، مدير المكتب المركزي للإحصاء، وأرييه دفورتسكي، أستاذ الرياضيات في الجامعة العبرية، وكانا يحاولان أيضاً إقناعه بوجوب نقل لاجئي غزة إلى الضفة الغربية. وكان باتشي، الإيطالي المولد، ضالماً في مساعٍ لرفع معدل المواليد بين اليهود

وخفضه بين العرب الإسرائيليين، (22) بينما كان دفورتسكي من العلماء الذين عرضوا مهاراتهم على المؤسسة الأمنية، وقد عيّن في سنة 1960 رئيساً لهيئة تطوير الوسائل القتالية (رفائيل).

لم يتحدث الثلاثة كثيراً عن المحنة الإنسانية للاجئين الذين اعتبروهم مشكلة لإسرائيل. ولم يثيروا في النقاش قط إمكان استيعاب اللاجئين داخل إسرائيل أو تركهم في غزة. وقد بدأوا اجتماعهم بدراسة إحدى الخرائط. فقدم باتشي إلى إشكول معلومات مخيفة: بين أحد المسوحات أن معدل وفيات الأطفال في غزة قد يتراجع. وأضاف: "إذا وصلنا الإشفاق عليهم كما نحن الآن"، قد تصبح وفيات الأطفال في الأراضي (المحتلة) مماثلة لتلك السائدة بين عرب إسرائيل. ولاحظ أن هذا "وضع مروع". حاول إشكول الاطمئنان فسأل: هل كان في إمكان تأثير الثقافة أن يجعل الفتيات العربيات ينجبن أطفالاً أقل؟ فأجاب باتشي: نعم، لكن ذلك يستغرق خمسة عشر عاماً على الأقل "ما لم نتمكن من فرض مزيد من السيطرة على الوحدة العائلية الفلسطينية." وأخبر رئيس الحكومة بأن أكثر من نصف سكان الأراضي دون سن الخامسة عشرة، وذلك "أمر مخيف" آخر. في المقابل، كان هناك ما يدعو إلى الأمل بأن يهاجر اللاجئون الغزيون، الذين نقلوا إلى الضفة الغربية، إلى الأردن أو سواه. وأوضاع باتشي أن ثلث العائلات في الضفة الغربية يرسل أحد أبنائه إلى الخارج. وعلى غرار الإسرائيليين الذين غادروا البلد من دون رجعة، اعتقد العديد من الفلسطينيين أنهم سيعودون، لكن انتهى الأمر بهم إلى البقاء في الخارج. وطلب باتشي ودفورتسكي إلى رئيس الحكومة أن يعطيهم توجيهاته.

قال إشكول: "الآن سأكشف أوراقي: أولاً، لا أعرف ماذا أريد؛ ثانياً، أود أن أفعل شيئاً." من الصعب إيجاد جملة تعبر بشكل أفضل عن موقف إشكول من كل قضية تقريباً في أي وقت من الأوقات. فقد قال أنه ليس واثقاً بأن من الحكمة بدء أي عمل لمصلحة اللاجئين، وربما من الأفضل انتظار أن تقوم دول أو منظمات كبيرة أخرى بذلك. أو ربما يجدر بهم الانتظار حتى التوصل إلى معاهدة سلام. وربما تقع حرب. ربما يجب البدء بتفكيك مخيم واحد في الضفة الغربية، أصغر المخيمات، وملاحظة ما ستؤول إليه أمورهم. وقال إشكول: "فيما يتعلق بالعرب في غزة، أمل بأن يغادروا إسرائيل"، كما لو أن غزة جزء من الدولة. سأل باتشي: كيف يمكن أن يحدث ذلك؟ فأجاب إشكول: "لا أعرف. إنني أبحث عنم يستطيع إيجاد الحل."

اقترح باتشي ألا يعتمد إشكول على إمكان أن يرحل عرب غزة طوعاً. كان كثيرون منهم غادروا إلى مصر قبل الحرب، وهم الآن عالقون. ولاحظ باتشي، من جهة أخرى، أن "ليس في وسعك طردهم. كل ما تستطيع أن تفعله تشجيعهم على الهجرة." لكنه أضاف: "إن الافتراض أن ذلك سيحل المشكلة وهم خطر." وعندما أوضح إشكول أنه مهتم بهجرة المقيمين بالمخيمات فحسب، نكره باتشي بأن ذلك يشمل نحو 180.000 شخص، وأن ليس في وسعهم تحقيق هجرة مثل هذا العدد الكبير. وأكد باتشي قائلاً: "أعتقد أن علينا البحث عن طرق أخرى." فلم يسع إشكول، الدائم المزاح، إلا أن يقول: "ثمة طريقة أخرى: حرب أيام ستة أخرى."

ضاعف الأستاذان بعد ذلك جهودهما لإقناع إشكول بأن الحل يكمن في الضفة الغربية وحدها. فقال دفورتسكي إنه لا يمكن توطين اللاجئين في وادي الأردن، لكنه أضاف على الفور: "من المهم جداً ألا يكشف هذا الأمر أمام أحد، إذ لو عرف أحدهم أن في وسع إسرائيل إعادة توطين خمسة وعشرين ألف عائلة ولا تفعل ذلك، فسيحدث ذلك احتجاجاً كبيراً." لذا اقترح دفورتسكي نقل لاجئي غزة إلى البيوت التي أخلاها "اللاجئون الجدد"، وأوضح لإشكول ما الذي يجعل هذه الفكرة جيدة: كلما شغل مزيد من لاجئي غزة بيوت الناس الذين غادروا الضفة الغربية مؤخراً تضاءلت فرصة عودة هؤلاء الأشخاص إلى بيوتهم. وإلى جانب ذلك "فإنك تثير نزاعاً داخلياً بين الفلسطينيين أنفسهم."

على غرار مايكل برونو وزملائه، أكد باتشي ودفورتسكي أن ليس هناك أساس حقيقي لخطة إعادة توطين لاجئي غزة في العريش. إلى جانب ذلك، كما قال باتشي، يمكن أن تنشأ في عريش اللاجئين "دولة لاجئين"، في حين أنهم سيذوبون في الضفة الغربية بين المقيمين الآخرين. وقال أستاذ الرياضيات: "إذا نقلنا مئة ألف، وصلينا كي يهاجر مئة ألف آخرون، نكون حققنا إنجازاً كبيراً."

كان إشكول معارضاً لفكرة العريش، لكنه يجد في الوقت نفسه أن من الصعب عليه تقبل أن تكون الضفة الغربية المكان الصحيح للاجئين غزة. فقال معلقاً: "يا لها من ورطة." ونظر إلى الخريطة وقال أنه لا يعرف ما إذا كان ثمة حرب أخرى وشيكة، لكنه يعرف أمراً واحداً: يجب أن تبقى غزة تحت السيطرة الإسرائيلية. فقال باتشي إن هذه "مسألة خطيرة"، وسأل إذا كان رئيس الحكومة ينوي ضم عرب غزة إلى إسرائيل؛ هنا يكمن السبب الآخر لنقلهم إلى الضفة الغربية. فقال إشكول إن وزارة الدفاع (ولم يقل "دايان") لا تعتقد أن الضفة الغربية ستعاد إلى [الملك]

حسين. فقال باتشي إنه حتى لو كان الأمر كذلك، فيجب إخلاء قطاع غزة. "لنفترض لحظة أنك نقلت مئة وخمسين ألفاً إلى الضفة الغربية. إذا عادت المنطقة بأكملها إلى الأردن تكون أبعث العرب خارج حدودك. وهذا أمر مستحسن. وإذا بقيت المنطقة في قبضتك تكون المشكلات التي ستواجهها من جانبهم في الضفة الغربية أقل مما ستواجهه في قطاع غزة. ففي غزة يبدو على مرأى من العالم كله كلاجئين." رد إشكول أن هذا ليس بالضرورة لأنه "إذا بقوا في قطاع غزة سنضغط عليهم للانتقال إلى مكان آخر." وسأل باتشي ثانية: "لكن لم يغادروا؟ إن ذلك وهم." فكرر إشكول فكرته الأصلية: "أقول لهم: خذوا مئة ألف لاجئ من هنا إلى العراق، أليس ذلك أخلاقياً؟" ثم ناقش مع ضيفيه المعطيات التي قدمهاها. كان يريد أن يعرف ماذا سيأكل اللاجئون في الضفة الغربية. في النهاية استسلم الأستاذان؛ فقال باتشي لإشكول إنه ربما من الأفضل انتظار أن تأخذ الحكومة العراقية اللاجئين، ورد إشكول بصراحة: "لا أعرف أين أقف في هذه المسألة بأكملها." (23)

واجه اقتراح نقل اللاجئين إلى الضفة الغربية مقاومة من بيغن الذي كان يريد تخصيص المنطقة للاستيطان اليهودي. واعترض ألون على نقل اللاجئين إلى وادي الأردن، الذي كان يريد أن يخصصه لليهود أيضاً. وكانت مبادرة إعادة توطين اللاجئين تشكل بين الحين والآخر بؤرة للمشاحنات الشخصية بين الوزراء، وتكثر عنها التسريبات إلى الصحافة، لكنها لا تلبث أن تتلاشى في النهاية. (24) وكان دايان يعارض إعادة توطين اللاجئين في الضفة الغربية، ويصر على أنهم ينتمون إلى الملك حسين - أي إلى الأردن لا إلى الضفة الغربية. وفي ذلك الوقت أضاف دايان: "لا أمانع إذا هاجروا جميعاً." وقد حاول إشكول تحقيق تلك الفكرة. (25)

"أريدهم أن يرحلوا جميعاً، ولو إلى القمر"

في أوائل سنة 1968، بعد ثمانية أشهر على الحرب، بدأت وحدة صغيرة من خمسة أشخاص العمل في غزة بإشراف رائد في الجيش الإسرائيلي. كانت مهمتهم تشجيع السكان المحليين على المغادرة. وقد عملوا من خلال متعاونين كانوا يتوجهون إلى المخيمات ويعدون الناس بالمال في مقابل موافقتهم على الرحيل. وكانت تلك عملية مشتركة بين الحكم العسكري، والشاباك، ومستشار رئيس الحكومة في الشؤون العربية. وحاولت وزارة الخارجية أيضاً ترويح هجرة اللاجئين، وطلب من وزارة المالية تمويل العملية. واستحدث منصب جديد في مكتب رئيس الحكومة لتنسيق هذه الجهود، أسنده إشكول إلى آدا سيريني، البالغة من العمر اثنتين وستين عاماً. وكان على سيريني أن "تشاهد من دون أن تشاهد"، وفقاً لإشكول الذي أوضح أن "لديها براعة خاصة في العمل السري." (26) كانت سيريني شخصية بطولية في المشروع الصهيوني. فقد ولدت في روما لعائلة أسكربليس السفارادية الثرية. وتزوجت إنزو سيريني، وهو أيضاً من عائلة يهودية أرستقراطية، وانتقل الاثنان إلى فلسطين. أصبح إنزو ناشطاً في حركة العمل، وكان يسافر إلى ألمانيا في أوائل الثلاثينيات كمدوب عن حركة شبابية. وفي وقت لاحق ذهب الزوجان إلى نيويورك، حيث عاشا في كوميونته صهيونية في ريفرسايد درايف. وعندما عادا إلى فلسطين عمل إنزو في قضايا الدفاع والأمن والعمليات السرية. وانضم في النهاية إلى وحدة من المظليين في الجيش البريطاني أنشئت من أجل التسلل إلى منطقة العدو، واختفى بعد إنزاله في شمال إيطاليا. وفي أعقاب الحرب ذهب سيريني للبحث عن زوجها عبر أنقاض أوروبا ووجدت دليلاً على أنه قتل في معسكر اعتقال داخاو. وبقيت في أوروبا وعملت لحساب منظمة بريشا التي كانت تساعد المهاجرين اليهود غير القانونيين على الوصول إلى فلسطين، وساعدت في جهود شراء الأسلحة استعداداً للحرب 1948. وقد طلب منها بن - غوريون استخدام صلاتها لشراء طائرة. وفي وقت لاحق انضمت إلى منظمة نتيف الإسرائيلية السرية التي ساعدت اليهود على مغادرة الاتحاد السوفياتي، والتي أرسلتها للعمل في إيطاليا. (27)

كان إشكول يأمل من وراء استخدام سيريني للعمل الجديد في سنة 1967 بأن تسهّل صلاتها في إيطاليا أمر نقل عدد كبير من اللاجئين من غزة إلى ليبيا، مستعمرة إيطاليا السابقة. وقد دام تعيينها ستة أشهر. أمّا هي فكانت تعتقد أنه يمكن خلال عامين نقل 40.000 عائلة - أي ربع مليون فلسطيني تقريباً - إلى الأردن. وافترضت أن اللاجئين سوف يوافقون على الرحيل في مقابل حصول كل عائلة على ألف ليرة، لذا ذكرت تكلفة 40 مليون ليرة، أي أقل من 10 ملايين دولار. (28) في اجتماعها الأول مع إشكول، وبحضور كل من مئير عميت رئيس الموساد، ويوسف هيرملين رئيس الشاباك، قال لها رئيس الحكومة: "أريدهم أن يرحلوا جميعاً، ولو إلى القمر." (29) وقد ذكّرت العملية بعملية الهجرة من القرى اليهودية في روسيا إلى أميركا: "كان هناك بضع شركات تتعاطى نقل

الأشخاص، وقد جرّدهم حتى من قمصانهم. ساقوهم كالخراف، لكن اليهود رحلوا. "غير أن إشكول، على الرغم من دوافعه القوية، وجد من الصعب الاقتناع بأن الحملة ستنجح، لذا كان متردداً في تمويلها. غادر آلاف من اللاجئين قطاع غزة في تلك الأشهر من دون تشجيع من الحكم العسكري، وأمل إشكول بأن تتواصل هذه العملية بلا أي استثمار مالي. كان يريد معرفة جميع التفاصيل، وعبر عن قلقه عندما علم أن كثيرين من الأشخاص الذين يرحلون هم من الشبان، في حين تبقى الشابات، كما قال، "مشكلة كبيرة لنا".

لم تكن تلك الفكرة الوحيدة التي تم البحث فيها خلال الاجتماع. فقد أفاد مستشار إشكول في الشؤون العربية شموئيل توليدانو، بسعادة، بأن ألف جواز سفر أجنبي وُزعت على مقيمين بغزة راغبين في الرحيل. وعلّق مثير عميت بصراحة قائلاً إن جوازات السفر المزورة يمكن أن تعرّض عمليات إسرائيل السرية للخطر. فطمأنه توليدانو، الذي شعر بالإهانة، إلى أن جوازات السفر أصلية. وفي وقت لاحق اتضح أنها اشترت من وزير داخلية إحدى دول أميركا اللاتينية. مع ذلك ساد التشاؤم؛ فقد يتعرض أحد حملة جوازات السفر هذه لحادث سيارة، وستكتشف الشرطة أنه حتى لا يعرف لغة البلد الذي يحمل جواز سفره. أو قد يأتي وزير داخلية دولة أخرى ويبدأ طرح الأسئلة. وكذلك إشكول لم يكن متحمساً، لكن توليدانو كان يعتقد أنه يمكن للعرب الإسرائيليين أيضاً استخدام جوازات السفر هذه. "يمكننا التخلص من أي مواطن عربي إسرائيلي - ذلك أمر مهم جداً. فقد تبين أنه لا يكاد أي من هؤلاء يغادر البلد."

بعد أن بدأت سيريني مهمتها تكررت لقاءاتها بإشكول. وكان يسأل: "ما الوضع؟ هل هناك فرصة؟ هل هناك أمل بأي شيء؟" وفي بعض الأحيان: "كم يبلغ عدد العرب الذي أخرجتهم حتى الآن؟" (30) وكانا يتحدثان عن المال في معظم الأحيان. وقد وافق إشكول على زيادة عدد العملاء المحليين من خمسة إلى عشرين. وعهد إلى سيريني بإرسال أشخاص إلى أستراليا والبرازيل للبحث في خيارات الهجرة إلى هناك. طلبت سيريني وضابط الارتباط بينها وبين الجيش، شلومو غازيت، من إشكول مزيداً من الحاجات: الضابط الأردني المسؤول عن عبور اللاجئين على جسر اللذني يطالب بعمولات خفية، وهما مضطران إلى دفع رشوة لشخص في المملكة العربية السعودية. وافق إشكول على تخصيص الأموال وأجاز ميزانية عملانية مقدارها خمسة ملايين ليرة. لكنه حذر سيريني بشكل متكرر من إعطاء المال للعرب الذين غادروا البلد، إذ ما إن تعطي أحدهم مالاً حتى يطلب الباقيون المزيد. (31)

كان إشكول مصيباً. في البداية كانت سيريني تريد خمس ليرات فقط لكل لاجئ، لتدفع بدل الانتقال من غزة إلى الضفة الغربية. وقال إشكول أنه لا يعتقد أن العربي من غزة لا يستطيع تدبير خمس ليرات لدفع أجرة السيارة، لكنه وافق. وقالت سيريني إن عليهم أيضاً أن يوزعوا الطحين والسكر ومال إعاشة لسد حاجات الناس عندما يصلون إلى الأردن. وعندما تبين أن الأردن لن يسمح للناس بإحضار حاجاتهم معهم، قالت سيريني يجب تعويض اللاجئين عما يضطرون إلى تركه. وبحثت في إرسال الناس إلى جنوب إفريقيا والولايات المتحدة بتكلفة ألف دولار للعائلة الواحدة. وعندما سألت ماذا تفعل بشأن رجل لديه 300 دولار وبحاجة إلى 300 دولار أخرى للوصول إلى أميركا، قال إشكول: "دعي الأشخاص الذين لديهم الإمكانيات يذهبون أولاً." وفي مناسبة أخرى قال: "ربما علينا سرقة أموالهم وهم في طريقهم إلى الخروج من هنا، مثلما كانوا يفعلون مع اليهود دائماً في أنحاء العالم كافة." فقالت سيريني إن هناك "صعوبات جمّة في كل أنحاء المعمورة." أستراليا، مثلاً، مستعدة لاستقبال الإسرائيليين، لكنها تريد اليهود فقط لا العرب، ومن الصعب التعامل مع الأستراليين لأنهم لا يقبلون الرشى.

أيد غازيت مطالب سيريني، لكن رئيس الحكومة قال أنه لا يملك المال. وعندما أحجم عن الموافقة على طلبها مئة مليون ليرة، طلبت خمسين مليوناً. وكانت تعود في الغالب إلى حسابها الأصلي: "ألا توافق على إنهاء مسألة قطاع غزة في مقابل أربعين مليون ليرة؟ إنه ثمن معقول جداً." فأجاب إشكول: "إذا وقّعت عقداً معي بأنك سترحلين أربعين ألف شخص في مقابل مثل هذا المبلغ، فربما أوافق. لكنك لا تستطيعين إلزام نفسك بذلك." وكان يخشى أن تصبح أحوال اللاجئين قاسية جداً بحيث يتعين على إسرائيل تقديم المساعدة إليهم. وطالب أيضاً بأن يقدم الأشخاص الذين يحصلون على أموال من إسرائيل إيصالات كي يتمكن من إثبات وجهة المبالغ التي كان ينفقها. في أيار/مايو 1968، قدمت سيريني تقريراً إلى إشكول ورد فيه أن 15.000 شخص تقريباً غادروا غزة في الأشهر الثلاثة الأولى من عملها. وقدر غازيت أن نحو 50.000 غادروا قطاع غزة منذ الحرب؛ بعضهم ربما توجه إلى الضفة الغربية. ووجد المكتب المركزي للإحصاء أن نحو 20.000 شخص تقريباً هاجروا من قطاع غزة في الأشهر الستة الأولى من سنة 1968. وأحصى الجيش، مثلما فعلت الأمم المتحدة والسفارات الأجنبية في إسرائيل والأردن،

عدد الأشخاص الذين عبروا جسور الأردن لكن لم يستطع أحد تقديم رقم دقيق. وقد تراوحت الأعداد التي غادرت غزة والضفة الغربية بين 220.000 و250.000 نسمة (32) من الصعب تقدير عدد من غادر نتيجة مساعي سيريني وغازيت. وقد أعلم مساعد دايان، تسفي تسور، إشكول بأن ست دراسات متنوعة تعالج سبب إقدام الناس على مغادرة قطاع غزة. كان تسعة من كل عشرة مهاجرين من الشبان، ونصفهم تقريباً من العزّاب. وثمانية من عشرة كانوا لاجئين، وسبعة من عشرة فرادى. معظمهم لم يترك أي أملاك، وكان لأغلبهم أقارب في الأردن. قالوا أنهم راحلون بسبب البطالة ولأنهم لم يعودوا يتلقون الأموال التي كان أقاربهم في الدول العربية يرسلونها إليهم. وكان بعضهم يريد لم شمل العائلة، وبعضهم الآخر ذهب للدراسة.

”وكالة السفر العالمية“

لم يعلم بأمر مشروع الترحيل سوى قلة من الإسرائيليين. فقد تم عمل كل شيء بسرية، كما لو أن هناك شيئاً مخزياً. لكن كثيرين في قطاع غزة عرفوا عن ”مكاتب الهجرة“ التي أنشأها الحكم العسكري في المخيمات. وذكرت السفارة الأميركية المشروع، بل إنها حددت الاسمين الحركيين لاثنين من العاملين لدى غازيت وسيريني: ”ولفي“ و”يهودا“. وأرسل الصليب الأحمر الدولي صيباً مراهقاً إلى ”وكلاء سفر“ سيريني ليستعلم عما هو معروض. وعاد الصبي حاملاً عرضاً بمنحه 500 ليرة إذا غادر مع أمه وأشقائه. وكان الوالد قد رحل فعلاً. وكتب الدبلوماسيون الأميركيون في وقت سابق أن وولفي وإيهودا اجتماعاً بالمخاتير وطلباً منهم لائحة بالأسر المنفصل أفرادها بعضهم عن بعض. وكان على المهاجرين عند مغادرتهم البلد أن يتركوا وراءهم بطاقات الهوية التي تلقوها من الحكم العسكري (33) كما كان عليهم أن يوقعوا نموذجاً يعلن، بالعبرية والعربية، أنهم يغادرون بمحض إرادتهم ويدركون أنهم لن يتمكنوا من العودة من دون إذن خاص. وكان التوقيع يتم بالبصم، ويضيفون أسماءهم كتابة إذا استطاعوا ذلك، والرجال يوقعون عن زوجاتهم. وقد خضع النموذج لتعديل بين الحين والآخر، جرياً على عادة بيروقراطية الاحتلال (34) وبلغ غازيت إشكول أن دايان يريد تسريع المشروع لأن جسور نهر الأردن يمكن أن تغلق في أي يوم.

عززت الآمال بإمكان حل مشكلة اللاجئين عن طريق الهجرة إلى دول بعيدة، وذلك من اتجاه غير متوقع: فقد دعم عضو مجلس الشيوخ الأميركي إدوارد كنيدي خطة لتوزيع 200.000 لاجئ من غزة في أنحاء العالم كافة. وكان يفترض أن ينتقل ما بين 25.000 و50.000 منهم إلى الولايات المتحدة. وأطلق عضو آخر، جاكوب جافيتس، خطة لإعادة توطين اللاجئين، وأفاد القنصل الإسرائيلي في نيويورك بأن الكنيسة اللوثرية تعهدت بالمساعدة. وكان هناك أخبار واعدة من أستراليا أيضاً (35)

إلى جانب ”وكلاء سفر“ غازيت وسيريني، يبدو أن وزارة الخارجية بذلت ما في وسعها، بالتنسيق مع الموساد، لتشجيع اللاجئين على الهجرة إلى البرازيل وسواها من دول أميركا الجنوبية. وفي غضون أسابيع بعد الحرب، طلب من السفراء الإسرائيليين في مختلف الدول الأجنبية الرد على استبيان بشأن إمكانات الهجرة. ففي آب/أغسطس 1967، كتب إشكول إلى زير خارجيته، أبا إيبين، أن المباحثات مع السفير البرازيلي في إسرائيل خلصت إلى أن هناك إمكاناً لترحيل الآلاف إلى ذلك البلد، ”إن لم يكن عشرات الآلاف“. وقدمت وزارة الخارجية تقريراً إلى غازيت عن وصول وكيل سفر برازيلي متخصص بشؤون المهاجرين (36)

حاول الدبلوماسيون الإسرائيليون في واشنطن إقناع الإدارة بدعم سياسة الترحيل. وأقاموا اتصالاً أيضاً بمنظمة دولية تعمل مع اللاجئين والنازحين، هي اللجنة الحكومية الدولية للهجرة الأوروبية. وكتب مردخاي كيدرون، الموفد الإسرائيلي إلى الأمم المتحدة، أن اللجنة لا تهدف إلى إعفاء إسرائيل من المسؤولية عن محنة اللاجئين. بل إن المنظمة، التي أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية لمساعدة النازحين في أوروبا، لم تعد قادرة في أواخر الستينيات على تبرير وجودها وتحتاج إلى مهاجرين ”كما يحتاج السمك إلى الماء“. كذلك فإن الدول المضيفة المحتملة لم تطور فجأة رغبة في مساعدة إسرائيل، وإنما كانت بحاجة إلى العمال المهرة: البرازيل بحاجة إلى عمال زراعيين، وأستراليا بحاجة إلى رعاة وعمال حضريين، وكندا تريد حراس أحياء وعمال بناء. وقد اقترحت إسرائيل البدء بمجموعة صغيرة من نحو 150 لاجئاً، على أن يجتمع بهم ممثل عن الموساد عند وصولهم إلى مقصدهم ويهتم بحاجاتهم الأولية. وإذا نجح المشروع تنتشر الأخبار شفاهة ويرتفع عدد المهاجرين.

ويبدو أن وزارة الخارجية كانت تعمل في هذه الأثناء كوكالة سفر عالمية، وجرت المناقشات فيها بشأن جوازات السفر والتأشيرات وتذاكر الطائرات، واقترح إعفاء اللاجئين الذين يغادرون غزة من ضريبة السفر، واستعلمت

الوزارة عن الاتفاقات مع شركات الطيران، ملاحظة أن اللاجئين في غزة يرفضون السفر على متن طائرات شركة آل - عال. واقترح أحدهم استئجار رحلات سفر، وقال آخر إن على وزارة الداخلية أن تعمل بسرعة أكبر، وليس هناك من مبرر لاستهلاك وقت طويل في إصدار وثائق سفر للاجئين.

تلا ذلك نقاش بين المسؤولين. فرأى بعضهم أن المجموعة الاختبارية التي اقترحتها اللجنة الحكومية الدولية للهجرة الأوروبية صغيرة جداً، وأن في وسعهم التوجه إلى هجرة جماعية مباشرة - 1500 أو 2000 عائلة، أي ما بين 5000 و100.000 شخص - في عامين. في المقابل، كانت هذه اللجنة تعتبر منظمة مؤيدة للصهيونية وقد أعطت إسرائيل 15 مليون دولار لاستيعاب اللاجئين في الماضي. وهكذا واصلوا تخيل مستقبل خال من العرب، والبحث عن طرق لتحقيق ذلك. وكان أحد المسؤولين في وزارة الخارجية، شلومو هليل، متحمساً جداً للمشروع حتى إنه أراد وضع شرط على العرب: لا معاهدة سلام إلى أن يرحل اللاجئون.

وكما تبين فيما بعد، لم يغادر معظم اللاجئين غزة في مقابل تذاكر السفر. كان الترحيل الجماعي مستحيلاً إلى حد ما لأن ما يجري كان مراقباً بصورة دائمة من جانب الدبلوماسيين والصحافة العالمية. لكن كان هناك طريقة ثالثة. فقد كتب مسؤول رفيع المستوى في وزارة الخارجية، مايكل كومي، إلى السفير هارمان أن الحاكم العسكري لقطاع غزة، مردخاي غور، كان يضغط على الناس لمغادرة غزة بخفض مستوى معيشتهم، وأضاف أن غور نفسه اعترف بذلك. لم يكن الجميع في الحكم العسكري يفضلون هذا النهج: كان ديان يعتقد أن تدهور مستوى المعيشة في قطاع غزة ربما يصعب الأمور على الحكم العسكري ويسئ إلى سمعة إسرائيل، على الرغم من أنه قد يؤدي إلى رحيل اللاجئين. (37) وتقرر في أثناء إعداد الميزانية الجديدة وجوب أن يكون مستوى المعيشة في غزة "معقولاً"، لكن "قريباً إلى ما كان قائماً قبل الاحتلال". وما يعنيه ذلك، وفقاً لإحدى الوثائق، هو عدم استحداث مصادر جديدة للدخل لمنفعة اللاجئين القاطنين في المخيمات. وفي تلك الفترة نفسها، بلغت البطالة معدل 16.6% في غزة. غير أن الحكومة قررت اجتذاب اللاجئين في غزة إلى أعمال البناء والزراعة في الضفة الغربية. (38)

العودة بعد المغادرة

كانت القصص المرعبة تنتشر بين الحين والآخر عن مبادرات لترحيل المقيمين بالأراضي المحتلة. وذات مرة رفضت السلطات الأردنية السماح لوضع مئات من اللاجئين بعبور الحدود من إسرائيل إلى الأردن، زاعمة أنهم أحضروا إلى هناك رغماً عنهم. وفي كانون الأول/ديسمبر 1967، أكدت القنصلية البريطانية في القدس خبراً لصحيفة "تايمز" اللندنية عن إجبار 200 بدوي من قبيلة النصيرات على عبور نهر الأردن. وبعد نحو ستة أشهر على الحرب، لخص نقاش شارك فيه دايان بما يلي: "هناك تفويض بمتابعة سياسة فرض منع التجول في المناطق، والقيام بعمليات تفتيش واعتقال بعد كل عمل إرهابي، كإحدى وسائل تشجيع المغادرة." (39)

لكن كلما تراجعت الحرب في الذاكرة قلت الادعاءات عن الترحيل القسري، وبدا أن الفلسطينيين الذين تركوا الضفة الغربية وقطاع غزة لم يجبروا في معظمهم على الرحيل. لكن لم يكن يسمح لهم بالعودة. وحاولت المئات التسلّل عائدين، بمن فيهم النساء والأطفال. لكنهم كانوا عادة يعادون وبعضهم يقتل بإطلاق النار عليه. وفي آب/أغسطس، بعد عدة أشهر على نهاية الحرب، كتب بعض الجنود إلى إشكول شاكين أنه يطلب منهم قتل النساء والأطفال الذين يعبرون نهر الأردن. وقد نقل إشكول الشكوى إلى دايان لإجراء تحقيق. في غضون ذلك، انتشر مزيد من الشائعات عن إصابة نساء وأطفال بجروح. وفي 13 أيلول/سبتمبر، قدم دايان إلى إشكول تقريراً عن التحقيق. وطلب وزير العدل شابيرا تحقيقاً أكثر تفصيلاً. وبعد الظهر أثبتت القضية في الحكومة الأمنية، وبلغ رئيس هيئة الأركان، يتسحاق رابين، الوزراء أن على الجنود بموجب قواعد الاشتباك أن يفتحوا النار على الأشخاص الذين يحاولون عبور نهر الأردن ليلاً، إلا إذا تمت معرفة أنهم من النساء والأطفال. أما في النهار، فعلى الجنود أن يطلقوا صيحات التحذير، وإذا لم يتوقف المشتبه فيه عليهم أن يطلقوا النار في الهواء. وقال رابين إنه في الأشهر الثلاثة التي تلت الحرب قُتل 146 شخصاً حاولوا عبور نهر الأردن، بينهم امرأتان وأربعة أطفال، وجرح أربعة عشر شخصاً، واعتقل ما يزيد على الألف وأعيدوا إلى الأردن. واقترح وزير السياحة، موشيه كول، تركيب مصابيح كاشفة، بينما اقترح أبا إيبين إصدار الأوامر إلى الجنود بإطلاق النار ليجرحوا، لا ليقتلوا.

يضيف أحد التقارير الموجودة في أرشيف الجيش الإسرائيلي بعض التفاصيل: ينصب الجيش كل ليلة خمسين كميناً على طول نهر الأردن. وفي الأشهر الثلاثة التي أعقبت الحرب، وقعت 95 مواجهة. كان بعض المحتجزين من أعضاء "فتح"، لكن معظمهم كان من اللاجئين الذين يحاولون العودة إلى ديارهم. وكان إثنان من الجرحى من

الأطفال. ووفقاً لـ إسرائيل ليثور، سكرتير إشكول العسكري، طلب إشكول إنهاء أعمال القتل، لكن رابين أصر على بقاء قواعد الاشتباك من دون تغيير. وأضاف دايان: "إنها ليست سيئة". وافترض أن عدد اللاجئين الذين يحاولون العودة سيقول، وبالتالي سينخفض عدد الإصابات. وطلب إشكول إبقاءه على اطلاع.(40)

كانت محنة اللاجئين موضوعاً جذاباً. وقد كتب السفراء الإسرائيليون في الخارج إلى المسؤولين في القدس أن البث التلفزيوني من الجسور والمخيمات التي أقامتها الأمم المتحدة على الجانب الشرقي من النهر مخز. وذكروا أن ثمة صوراً للجنود الإسرائيليين وهم يطلقون النار في الهواء لحث اللاجئين على عبور الجسور [في اتجاه الأردن]. وقد قدّر المراسلون أن المخيمات الجديدة احتوت على نحو 80.000 لاجئ من غزة والضفة الغربية. كان الشتاء يقترب، الأمر الذي يهدد بجعل الأوضاع غير محتملة، وكتب سفير إسرائيل في ألمانيا أن "أسوأ الانطباعات تتولد من مشهد الآباء وهم يحملون أطفالهم بين أذرعهم." وأضاف: "لا يمكننا الوقوف هنا أو في أي بلد أمام موجة الاحتجاج التي نعتقد أنه سيكون لها عواقب سياسية أيضاً." وطلب أن تسمح إسرائيل بلم شمل العائلات على الأقل. وكان السفراء على حق؛ فقد دفعت الصور البشعة في وسائل الإعلام العديد من الحكومات، ومنها الحكومة الأميركية، إلى مطالبة إسرائيل بالسماح بعودة الفلسطينيين.(41)

في محاولة لتحسين صورة إسرائيل، وافقت الحكومة الإسرائيلية لا على مساعدة المقيمين بقليلية فحسب، بل على مساعدة المقيمين بقريتين من قرى الخليل أيضاً. وأعطى إشكول الأوامر بتقديم شرح إلى رئيس الحكومة البريطانية، هارولد ويلسون، بأن الصحفيين سيئون تفسير المشاهد؛ فالناس الذين كانوا يصورونهم هم أشخاص تركوا ببوتهم باختيارهم. وكما هي العادة ذكر أيضاً المحرقة (الهولوكوست). فبلغ نائب رئيس الصليب الأحمر الدولي أنه "ما من شعب مثل شعبنا، شهد مقتل ستة ملايين من شبيهه وشبانته على يد النازيين قبل أقل من جيل من الزمن، يمكن أن يكون غير متجاوب مع أي مصلحة إنسانية." وتعد بتقديم مليون ليرة إلى الأمم المتحدة لتمويل بناء مخيمات لـ "اللاجئين الجدد".(42)

لم يكن ذلك كافياً، والوزراء كانوا يعرفون ذلك. فقد صدم أبا إيبين بالمشاهد التي رآها على التلفزيون في أثناء زيارة إلى نيويورك، وبلغ إشكول ضرورة ترتيب عودة متلفزة للاجئين على الفور. وتلقى الوزراء نسخة عن رسالة صريحة للغاية كتبها عضو مجلس النواب مارغريت ماكاي، ونشرت في صحيفة "تايمز" اللندنية.(43) ومن أجل تهدئة اللاجئين وتحسين الانطباع البشع الذي تخلف لدى الزوار الأجانب، اقترح مسؤول في وزارة الخارجية إقامة مراحيض ومقاعد في الظل، "بحيث لا يكون الوداع في وسط الطريق".(44) وفي تموز/يوليو، أذعنت الحكومة وقررت مرغمة السماح بعودة بضعة آلاف من الأشخاص لمدة محدودة. وقد تم انتقاؤهم بعناية بغية منع عودة لاجئي 1948. وخلافاً لذلك، اعتقدت المسؤولية في وزارة الخارجية، روث وولف، أنه يجب تفضيل أولئك اللاجئين لأن وضعهم المادي أفضل جراء دعم الأمم المتحدة المالي. فكتبت، بالإضافة إلى ذلك، "أوصي بإيلاء الوضع الديموغرافي الاهتمام - لا من ناحية الأطفال فحسب، بل أيضاً من ناحية إمكانات الولادة في المستقبل تبعاً لأعمار النساء." وكانت نصيحتها فيما يتعلق بردع من يريد العودة: "إحرصوا على البث بشكل مناسب عبر إذاعة صوت إسرائيل بالعربية عن انعدام أمن الحوالات المالية من الخارج، وأعمال التفتيش الدقيقة. ولا تخفوا أيضاً الصعوبات الاقتصادية الراهنة." وسبب الأردنيون مزيداً من الصعوبات برفض السماح للاجئين بتوقيع طلبات تحمل خاتم دولة إسرائيل من أجل السماح لهم بالعودة. وبينما كان البلدان يتشاجران، اقترب الصيف من نهايته. وسمحت إسرائيل في آخر الأمر بعودة عدد أكبر من اللاجئين.

حظيت "عملية اللاجئين"، وهذا هو الاسم الذي أطلق عليها، بتغطية إعلامية جيدة. وكان الشاعر حاييم غوري بين من توجه إلى جسر اللنبي لمشاهدة عودة اللاجئين. "مشت نسوة يرتدين ثياباً سوداً، يحملن أطفالاً نياماً تحت الشمس بينما الذباب يحوم حولهم. وسار حمال مثقلاً بكومة ضخمة من البطانيات والأفرشة على ظهره. ومرّت امرأة تحمل قدوراً نحاسية، وشاب يحمل حقيبة، وحمالون يجرون أغراضاً منزلية وملاءات، وواحد يحمل مكنة خياطة سنجر وبريموس ومنديلاً ملفوفاً حول خبز ووصل... وبدت عجوز ذات مظهر غريب كأنها قادمة من صور فلسطين العتيقة التي ماتت قبل زمن طويل."(45) كانت النية الابتدائية السماح بعودة 20.000 شخص، لكن لم يتمكن من العودة لدى انتهاء العملية سوى 14.000 شخص.(46)

وهكذا فوتت إسرائيل الفرصة الكبرى التي أتاحتها النصر في حرب الأيام الستة لمعالجة الجرح الخبيث - كما سمّاه عيزر وايزمن - الذي خلفته حرب الاستقلال. ورأى وايزمن بعد عدة أعوام أن "غلطة اللاجئين" تلك كانت "غلطة مؤلمة ومدمرة ربما لا تقل عن الأخطاء الأمنية والعسكرية التي ارتكبت قبل حرب يوم الغفران."(47) من الصعب

تقديم شرح. ففي أقل من عقدين، استوعب الـ 600.000 يهودي الذين كانوا في إسرائيل عند قيامها أكثر من مليون مهاجر جديد. وقد أنشأوا مئات من المجتمعات الجديدة، بما في ذلك مدن، وكلها ضمن حدود الخطر الأخضر. وكان من الممكن إعادة تأهيل اللاجئين في غزة والضفة الغربية أيضاً، ولم يكن ذلك يتطلب السماح لهم بالعودة إلى ديارهم في إسرائيل، أو يحتم اتخاذ قرار بشأن مستقبل الأراضي – سواء لجهة الانسحاب أو لجهة الضم. وكان الأثرياء الذين عرضوا تمويل إعادة التأهيل ينتظرون دعوة إلى القيام بذلك. وكانت تلك مهمة تستدعيها المصلحة الوطنية، والكرامة الإنسانية، ومن شأنها أن تعزز التضامن اليهودي، والزخم الاقتصادي والاجتماعي، ومكانة إسرائيل الدولية؛ وكان من الممكن أن يبدو التاريخ الصهيوني أكثر نبلاً بكثير. لكن إشكول ودايان والشركاء الآخرين في ارتكاب الغلطة اعتقدوا أن ليس هناك سبب يدعو إلى العجلة. وبافتقارهم إلى الرؤية والشجاعة والرحمة، وافتتانهم بهلوسات الانتصار، لم يتقبلوا قط دور إسرائيل في مأساة الفلسطينيين. وربما لم يكن لديهم الشجاعة للإقرار بذلك؛ وربما كان ذلك هو المانع الرئيسي، أو ربما كانوا يعتقدون حقاً أنهم سينجحون في التخلص منهم يوماً ما. ■

المصادر

- (*) مؤرخ إسرائيلي وضع العديد من الكتب المهمة.
- (**) المصدر: *Journal of Palestine Studies*, vol. xxxvi, no. 3 (Spring 2007), pp. 6-22.
- وقد اقتطفت هذه المقالة من الفصل الحادي والعشرين المعنون "الخطأ الكبير" في أحدث كتب سيغف. أنظر: Tom Segev, 1967: *Israel, the War, and the Year that Transformed the Middle East*.
ترجمة: عمر الأيوبي.
- ملاحظة:** تم اختصار بعض الهوامش أدناه بسبب قيود المكان. وللإطلاع على المراجع كاملة يرجى العودة إلى هوامش الفصل 21 في كتابي: 1967: *Israel, the War, and the Year that Transformed the Middle East*.
- (1) Nur Masalha, *Expulsion of the Palestinians: The Concept of "Transfer" in Zionist Political Thought, 1882-1948* (Washington D.C.: Institute for Palestine Studies, 1992); Tom Segev, *One Palestine, Complete: Jews and Arabs under the British Mandate* [in Hebrew] (Jerusalem: Keter, 1999), p. 328ff.
 - (2) Shertok to Goldman, 14 June 1948, Yehoshua Freundlich, ed., *Documents on the Foreign Policy of Israel* [in Hebrew], vol. 1 (Jerusalem: Israel State Archive, 1981), p. 163.
 - (3) Levontin to Eshkol, 12 June 1967, Israel State Archive [ISA], 5603/C-4; Katz to Eshkol, 15 June 1967, ISA, 6301/C-1; *Ha'Aretz*, 2 April 1967, p. 1 (Eshkol with Sartre).
 - (4) Devorah Kaplan, *The Truth on the Arab Refugee Problem* [in Hebrew] (Jerusalem: Meod, 1956).
 - (5) Tom Segev, 1949: *The First Israelis* [in Hebrew] (Jerusalem: Domino, 1984), p. 68.
 - (6) Danin to Weitz, 25 November 1956, CZA, A246.
 - (7) Operation Worker, ISA. 4095/HZ-16.
 - (8) [Bein-Gurion Diary, 1 June 1967, Ben-Gurion Archives [BGA].

- (9) Shlomo Gazit, *The Palestinian Refugee Problem* [in Hebrew] (Tel Aviv: Tel Aviv University, 1994); Dan Bawly, *Dreams and Missed Opportunities, 1967-1973* [in Hebrew] (Tel Aviv: Carmel, 2002), pp. 104ff.
- (10) *Ha'Aretz*, 18 June 1967, p. 2.
- (11) Ben-Gurion Diary, 14 December 1967, BGA.
- (12) خلال نقاش في سنة 1961، ادعى بن - غوريون في البداية أن اللاجئين "غادروا"، لكنه أقر لاحقاً بـ "أنهم أرغموا على الرحيل". أنظر:
Discussion with Ben-Gurion, 23 June 1961, ISA, 7936/A-6
- (13) Ben-Gurion Diary, 1 June 1967; 14 December 1967, BGA; Discussion with Ben-Gurion, 23 June 1961, ISA, 7936/A-6; Elisha Efrat, *Geography of Occupation* [in Hebrew] (Tel Aviv: Carmel, 2002), p. 139.
- (14) Yehiel Iksar to Director General, 18 June 1967, ISA, 4088/HZ-7; Avner to Ben-Horin, 8 August 1967, ISA, 4088/HZ-7; Hillel to Eban, 6 September 1967, ISA, 7931/A-2; Bernstein to Harman, 21 June 1967, ISA, 3979/HZ-9
- (15) Herzog Diary, 7 September 1967, ISA, 4511/A-3
- (16) قبل أكثر من عشرة أعوام، اقترح بن - غوريون في اجتماع للحكومة إعادة توطين اللاجئين في العراق. ورأى شمعون بيرس وجوب تشجيعهم على الهجرة إلى دول الخليج النفطية. أنظر:
Ben-Gurion in the government, 23 December 1956, ISA minutes; *Ha'Aretz*, 9 November 1967, p. 2 (Peres).
- (17) تسلم إشكول رسائل من مواطنين عادييين يطالبون فيها بإفراغ الأراضي من ساكنيها، ويذكرونه بالتبادل بين تركيا واليونان. أنظر:
Knab to Eshkol, 11 June 1967, Eshkol to Knab, 27 June 1967, ISA, 6301/C-1; Yagar to Yaffe, 1 August 1967, ISA, 6303/C-1
- (18) اجتماع حكومي، 15 حزيران/يونيو 1967، تركة يعقوب هيرتسوغ، بإذن كريم من ابنته؛ ألون في اجتماع حكومي، 30 حزيران/يونيو 1967، محاضر في حيازة المؤلف:
Yemima Rosenthal, Arnon Lemfrom, and Hagai Tzoref, eds., *Levi Eshkol, the Third Prime Minister* [in Hebrew] (Jerusalem: Israel State Archives, 2002), pp. 56, 581ff.
- (19) Government Resolution, 19 June 1967, ISA, 7921/A-2 اجتماع حكومي، 19 حزيران/يونيو 1967، تركة يعقوب هيرتسوغ، بإذن كريم من ابنته.
- (20) Arnon to Sapir, 25 June 1967, ISA, 4601/CL-11; Gvati to Shilo, 30 June 1967, ISA, 6301/C-1; Eshkol to Bachi, 20 July 1967, review of the social problems in the occupied territories, 20 September 1967, Yad Eshkol Archive [YEA], copy in possession of the author; Hillel to Eban, 8 September 1967, ISA, 7921/A-2; Eban to Bentov, 4 February 1968, YEA, copy in possession of the author; Outline for Policy on the Refugee Question, 8 September 1967, ISA, 4092/HZ-5.

(21) كان من المتوقع أن يؤدي المشروع إلى انتعاش اقتصادي كبير في إسرائيل وال الضفة الغربية، الأمر الذي يجعل التكلفة الصافية أدنى كثيراً، وبالتالي لا يشكل الأمر عبئاً على اقتصاد البلد. بعد أسابيع من وصول خطة برونو إلى إشكول كتب مدير مكتبه إلى إيبين أنه تم أخذ قرار بإبقائها في طي الكتمان لأنها تظهر عدم وجود عوائق اقتصادية أمام توطين اللاجئين في الضفة الغربية – وهو استنتاج يمكن أن ينجم عنه ضغط دولي. أنظر:

Development of the Administrated Territories, Investigation of Alternatives, ISA, 7921/A-3; Wiener to Eshkol, 28 November 1967, ISA, 7921/A-3; Plan to Settle 50,000 Refugees in Al Arish Area, CZA, A186/66; Yosef Weitz, *My Diary* [in Hebrew] (Tel Aviv: Masada, 1973), vol. 6, pp. 191ff.; Yaffe to Eban, 18 October 1967, ISA, 7921/A-3.

Bachi to Herzog, 18 June 1967, ISA, 6301/C-1. (22)

Eshkol with Bachi and Dvoretzky, 6 December 1967, ISA, 7921/A-3; Sasson to Eshkol, 19 July 1967, ISA, 7231/A-1; Eshkol with Dvoretzky, 20 March 1968, ISA, 7921/A-4; Rosenthal, et al., eds., op. cit., p. 582.

Allon to Eshkol, 10 September 1967, ISA, 6301/C-14; Yigal Allon in interview with Reudor Manor, fourth meeting, p. 1, ISA, 5001/A-19; *Yedi'ot Aharonot*, 2 July 1967, p. 3; Shmuel Tamir in the Knesset, 6 December 1967, Knesset Minutes [in Hebrew], vol. 50, p. 342; Herzog Diary, 10 September 1967, ISA, 4511/A-3.

Dayan in Consultation with Ministers, 3 July 1968, ISA, 7921/A-5; Dayan at Ministerial Committee on the West Bank, 24 December 1967, ISA, 7921/A-3; دايان في اجتماع حكومي، 18 شباط/فبراير 1968، خلاصة عن النقاش في حياة المؤلف: دايان في اجتماع حكومي، 17 تشرين الأول/أكتوبر 1967، تركة يعقوب هيرتسوغ، بإذن كريم من ابنته؛ Herzog Diary, 25 June 1967, ISA, 4511/A-3.

Eshkol with Sereni and others; Eshkol with Dvoretzky, 20 March 1968, ISA, 7921/A-4. (26)

Ruth Bondi, *The Emissary: The Life and Death of Enzo Sereni* [in Hebrew] (Tel Aviv: Am Oved, 1973); Ben-Gurion to Sereni, 29 February 1948; Sereni to Ben-Gurion (1958), BGA, correspondence;

هاغر سيريني – كونفينو رداً على أسئلة المؤلف.

Eshkol with Dvoretzky, 20 March 1967; Eshkol with Sereni, 27 March 1967, ISA, 7921/A-4. (28)

Meeting on the Work of Ada Sereni, 19 February 1967, ISA, 7921/A-4. (29)

Eshkol with Sereni, Toledano et al., 19 February 1968, ISA, 7921/A-4; Eshkol with Heads of the Movement for Greater Israel, 12 November 1967, ISA, 7920/A-7; Eshkol with Sereni, 27 March 1967, ISA, 7921/A-4 (“how many?...?”).

Prime Minister's Office Director to Prime Minister's Office Deputy Director, 2 (31)
April 1968, ISA, 7921/A-4.

Summary of the Number of People Crossing from the West Bank to the East (32)
Bank, 11 July 1967, Israel Defense Force Archives [IDFA], 66/117/70; Sweeny
Report, 12 September 1967, Public Record Office [PRO], Foreign and
Commonwealth Office [FCO] 961/26/104107; Refugee Statistics, Symms to
Department of State, 3 January 1968, United States National Archives [USNA],
Box 3049, REF ARAB, 1/1/68; Barbour to Rusk, 26 March 1968, USNA, Box
3056; Crawford to Moberly, 26 June 1968, PRO, FCO 17/217/104107.

U.S. Embassy in Lebanon to Department of State, and U.S. Consulate in (33)
Jerusalem to Department of State, 25 July 1968; U.S. Embassy in Israel to
Department of State, 2 August 1968, USNA, Box 3049, REF ARAB 1/1/68;
Arieh Brown, *Personal Seal: Moshe Dayan in the Six-Day War and Afterward*
[in Hebrew] (Tel Aviv: Yedi'ot Aharonot, 1997), p. 154.

Greenberg to Gazit, 27 October 1967, declaration draft, ISA, 4095/HZ-4. (34)

Study on Emigrants Movement, August 1968, ISA, 7921/A-4; Kennedy to Sisco, (35)
10 August 1967, USNA, Box 3048, File REF ARAB 8/1/67; Arnon to Hillel, 14
November 1967, ISA, 7921/A-4; Ben-Haim to Foreign Ministry, January 1968,
ISA, 4092/HZ-5; Battle to Rusk, 13 February 1968, USNA, Box 3049.

Avner to Rivlin, 24 July 1967, ISA, 4088/HZ-6; Eshkol to Eban, 23 August (36)
1967, ISA, 7921/A-2; Hillel to Gazit, 3 October 1967, ISA, 4096/HZ-4.

Hillel to Comey, 3 December 1967, ISA, 4092/HZ-5; The Problems in the Gaza (37)
Strip, 21 January 1968, IDFA, 128/2845/97; Brown, op. cit., pp. 166ff.

Hiram to Directors General, 11 December 1967, ISA, 8122/CL-6; Government (38)
Resolution, 2 July 1967, ISA, 23 July 1967, ISA, 10136/C-4; 5 November 1967,
ISA, 10136/C-5.

Lewen to Moberly, 14 December 1967, PRO, FCO 17/212/104225; Lapp to (39)
Chase, 8 July 1967, Middle East Center Archive, St. Antony's College, Oxford
University [MECA], Jerusalem and the East Mission, GB 165-0161, Box 73, File
2; Campbell to Rusk, 29 July 1968; Barbour to Rusk, 1 August 1968, USNA,
Box 3049, REF ARAB 1/1/68; The Problems in the Gaza Strip, 21 January 1968,
IDFA, 128/2845/97; Government Announcement, 29 June 1967, ISA, 6309/C-3;
Yaffe to Levavi, 28 June 1967, ISA, 7921/A-2.

يوميات هيرتسوغ، 13 أيلول/سبتمبر 1967، بإذن كريم من ابنته؛ (40)
Infiltration from the East Bank to the West Bank, IDFA, 70/117/70; Ross to
Komei, 21 August 1967, ISA, 3982/HZ-17; Eitan Haber, *Today War Will Break
Out* [in Hebrew] (Jerusalem: Idanim, 1987), pp. 291ff.

Ben-Natan to Foreign Ministry, 25 June 1967; Rafael to Foreign Ministry, 26 (41)
June 1967, ISA, 4089/HZ-2; Comey to Foreign Ministry, 23 June 1967; Harman
to Foreign Ministry, 23 and 26 June 1967; Remez to Foreign Ministry, 26 June

1967, ISA, 4088/HZ-10; Foreign Ministry to Narkis, 18 June 1967, ISA, 4097/HZ-8; Sapir to Foreign Ministry, 27 June 1967, ISA, 7921/A-2; Tkoa to Israeli Embassy in the U.S., 1 August 1967, ISA, 4088/HZ-6; Comey to Eban, 4 August 1967, YEA, copy in possession of the author.

Government Resolution, 10 September 1967, ISA, 6304/C-9 (Qalgilya); Eshkol (42) in the government, 8 October 1967, ISA, 7921/A-6; Eshkol with Vice President of the Red Cross, 22 October 1967, ISA, 6303/C-5; Ha'Aretz, 30 March 1967, p. 1; Hillel to Rafael, 16 December 1967, ISA, 4088/HZ-3.

Eban to Eshkol, 12 July 1967, ISA, 7921/A-2; ISA, 6303/C-5. (43)

Wolf to Comey, 15 August 1967, ISA, 4088/HZ-7. (44)

Lamerhav, 1 September 1967, p. 2; *Ma'ariv*, 20 August 1967, p. 3; Michael (45) Shashar, *The Seventh-Day War: The Diary of the Military Government in Judea and Samaria (June-December 1967)* [in Hebrew] (Tel Aviv: Sifriyat Poalim, 1997), pp. 101, 148ff.

(46) قرار حكومي، 2 تموز/يوليو 1967: 6 و 13 و 27 آب/أغسطس 1967: 5 و 10 أيلول/سبتمبر 1967، بإذن كريم من الأمانة العامة للحكومة:

Meeting Summary, 4 July 1967, ISA, 6304/C-11; Tkoa to Dayan, 23 July 1967, ISA, 6301/C-1; Comey to Eshkol, 28 December 1967, ISA, 4092/HZ-5; Tkoa to Raviv, 11 August 1967, ISA, 4088/HZ-7; Hillel to Ganur (undated), ISA, 4088/HZ-5; Wolf to Comey, 15 August 1967, ISA, 4088/HZ-7; Hughes to Rusk, 19 July 1967, USNA, Box 3048, File REF 7/1/67; Barbour to Department of State, 27 November 1967, USNA, Box 3049, REF ARAB 10/1/67; Arab Refugees, 30 November 1967, PRO, FCO 17/217/104107.

Ezer Weizman, *For You the Sky, for You the Land* [in Hebrew] (Tel Aviv: Sifriyat Ma'ariv, 1975), p. 297. (47)

مجلة الدراسات الفلسطينية، جميع حقوق النشر وإعادة التوزيع محفوظة لمجلة الدراسات الفلسطينية، ولا يمكن نشرها أو توزيعها إلكترونياً إلا بإذن من رئيس تحرير المجلة وذلك عبر الكتابة إلى العنوان البريدي التالي: majallat@palestine-studies.org

يمكن تحميل هذه المقالة أو طبعتها للاستخدام الفردي وعند الاستخدام يرجى ذكر المصدر:
http://www.palestine-studies.org/ar_index.aspx